وأَبَـيْـنَ يَـوْمَ الـبَـيْـنِ وِقْـفـةَ سَـاعـةٍ لِـوَداعِ مَـشْـغُـوفِ الـفُـؤادِ كَـئـيـبِ[١]

وترجمه ابن عمار أحد من أخذ عنه فقال: الأستاذ المنوه بلسانه سيف المحاضرة كان يسلك في إقرائه للأصول مسلك الأقدمين كالغزالي[٢]، والفخر الرازي[٣] مع الإنكار على الطريقة المتأخرة التي أحدثها طلبة العجم ومن تبعهم من التوغل في المشاحّة اللفظية والتسلسل في الحدِّية والرسمية اللتين أثارهما العضد وأتباعه في الحواشي عليه وينهى الناقل غضون إقرائه عن شيء من هذه الكتب مستنداً إلى أن طريقة الأقدمين من العرب والعجم وكتبهم في هذا الفن على خلاف ذلك، وأنَّ اختصار الكتب في كل فنٍّ والتقيد بالألفاظ على طريقة العضد وغيره من محدثات المتأخرين والعلم وراء ذلك كله. قال: وله من المؤلفات غير الإنشاءات النثرية والشعرية التي هي كالسحر، التاريخ العظيم المترجم بالعبر في تاريخ الملوك والأمم والبربر. حوت مقدمته جميع العلوم.

(٢٣٤)

(عبد الرَّحْمن بن مُحمَّد ابن نَهْشَل الحَيْمي الحافظ الكبير العلَّامة الشهير)

كان من العلماء الجامعين بين علم المعقول والمنقول، وله اشتغال بالتدريس في الأمهات ونشرها، وبمثل العضد وحواشيه، والمطول وحواشيه، والرضي في النحو وسائر الكتب المفيدة. وقد أخذ عنه الناس واشتهر، ومن جملة تلامذته العلَّامة الحَسَن بن أحمد الجلال، وجماعة أكابر، ومنهم القاضي أحمد بن سَعْد الدين المَسوري، والقاضي أحمد بن صَالح بن أبي الرجال. ولكنه ما سَلِم من الامتحان من أهل عصره لسبب اشتغاله بالأمهات علماً وعملاً وتدريساً، وليس ذلك ببدع، فهذا شأن هذه الديار من قديم الأعصار. ومن مشايخه السيد الحَسَن بن شَمْس الدين وَيَحْيَى بن أحمد الصَّابوني، والحافظ بن علان. وبالجملة فصاحب الترجمة من أكابر

(١) البين: البعد والفراق. المشغوف: الذي شغفه الحُبُّ: وصل إلى شغاف قلبه.

(٢) هو الإمام، زين الدين، حجة الإسلام، أبو حامد، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي الشافعي: فيلسوف، متصوّف، فقيه، مُصنّف. توفي سنة ٥٠٥هـ/ ١١١٢م. من آثاره: «تهافت الفلاسفة»، و«إحياء علوم الدين»، و«المنقذ من الضلال»، وغيرها. (وفيات الأعيان: ٤/ ٢١٨؛ شذرات الذهب: ٤/ ١١).

(٣) هو أبو عبداللَّه، فخر الدين، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، البكري، الرازي: إمام مُفسِّر، مُتبحِّرٌ في علوم الأوائل. توفي سنة ٦٠٦هـ/ ١٢١٠م. من آثاره: «مفاتيح الغيب»، «مناقب الإمام الشافعي»، و«شرح أسماء اللَّه الحسنى»، وغيرها. (الأعلام: ٦/ ٣١٣).

العلماء المتبحرين في جمع العلوم. وما زال مُكبّاً على ذلك حتى (توفاه) اللَّه تعالى سابع وعشرين ربيع الأول سنة ١٠٦٨ ثمانٍ وستين وألف بصنعاء، ودُفن بجربة الروض.

(٢٣٥)

(عبد الرَّحْمن بن يَحْيَى الآنسي ثم الصَّنعاني)[١]

ولد في شهر ذي القعدة سنة ١١٦٨ ثمانٍ وستين ومائة وألف، ونشأ بصنعاء، فأخذ في علم العربية وغيره عن جماعة كالسيد إسماعيل بن إسماعيل بن ناصر الدين، والسيد العلَّامة عبد اللَّه بن مُحمَّد الأمير وغيرهما. وأخذ في الفقه على شيخنا العلَّامة أحمد بن مُحمّد الحرازي، وفي الحديث على المحدث العلَّامة لطف الباري بن أحمد الورد. وأكبّ على المطالعة واستفاد بصافي ذهنه الوقاد ووافي فكره النقاد علوماً جمة، ولا سيّما في العلوم الأدبية، فهو فيها أحد أعيان العصر المجيدين. وولَّاه خليفة العصر حفظه اللَّه القضاء في بعض البلاد اليمنية، ثم نقله إلى بلاد حجّة، وولَّاه قضاء تلك الجهات وما والاها، وباشره مباشرة حسنة بعفة وصيانة وحرمة ومهابة وصرامة بحيث صار أمره فيها أنفذ من أمر العمال. وقد يغزو بعض المبطلين أو المخالفين للشرع بجماعة معه ويقدم إقداماً يدلّ على شجاعة ويسلك مسالك يقوده إليها حسن التدبير. فبمجموع هذه الأوصاف صار لا يسد غيره مسده ولا يقوم مقامه سواه مع أن هذه الولاية هي دون جليل قدره؛ ولكن مثل تلك الجهات مع شرارة أهلها وتعجرفهم وقوة صولتهم لا ينفذ الأحكام الشرعية فيهم إلَّا مثله. ومع هذا فهو عاكف على مطالعة العلوم على اختلاف أنواعها مستغرق غالب ساعاته في ذلك، كثير المذاكرة والمباحثة في المسائل الدقيقة مغرم بنظم الأشعار الفائقة الجارية على نمط العرب المحبرة بخالص اللغة وغريبها. وله من النثر البليغ ما يفوق الوصف. وقد اجتمعت به فرأيت من حسن محاضرته وطيب منادمته وقوة ذهنه وسرعة فهمه ما يقصر عنه الوصف. وقد كتب إليّ رسالة مشتملة على عشرة أسئلة أجبت عليها برسالة سميتها (طيب النشر في جواب المسائل العشر) وهي موجودة في مجموع رسائلي، وكتب إليّ هذه القصيدة الطنانة بعد أن قدم بين يديها هذا النثر الفائق، ولفظه: من عبد الرَّحْمن بن يَحْيَى غفر اللَّه لهما، إلى المولى المنسوب إلى كل علم نسبة مؤثرة في العين عن ملكة قوية البنا، على عناية وعنا، الموضوع بأول الأولى من طبقات أهله

---

(١) ترجمته في: الأعلام: ٣/ ٣٤١؛ نيل الوطر: ٢/ ٤٣؛ هدية العارفين: ١/ ٥٥٧؛ معجم المؤلفين: ٥/ ١٩٨.